حمار الشعراء

جَشَّمْتَني النَّظمَ على بحْرٍ عَـرَا ... من القوافي نَبذوه بالعَـــرا

أو هكذا يَبدو لعينَيْ نَـــــاظرٍ ... لقِلَّة الحَفْل به فيما يُـــــرى

إذ هجَّنوه فامتطاه كلُّ مَـــــنْ ... رامَ وسَمَّوْه حمارَ الشعَـــرا

ألا تَراه في البُحور خامـــــلا ... ممتهَنا بين القصيـــدِ مُزْدَرَى

مقترِناً في الذهنِ بابنِ عاشِـــرِ ... وبابنِ مالكٍ وقارِئِ قَـــــرا

ومعرب لقامَ زَيدٌ وأتـــــــى ... عمْرُو وهَمَّ عامرٌ بِعُمَـــــــرَا

وحيثما فتَحتَ ديوانا فـــــلا ... تُبصِرُ للرجَزِ فيه أثَـــــــرا

قد أخملوه من قدِيمٍ بينهـــــم ... فليس في شعر الفحول يقْتــرى

قبلي تَخَطَّاهُ الكبار فعُنـــــوا ... بغيْـرهِ وكادَ أنْ لا يُذْكَـــرا

إلا أُبَيَّـاتاً هُنا أو هَهُنـــــا ... مما يَنِدُّ تَـارَةً أنْ يَخْطُـــــرا

وفي المعلقاتِ لا ذِكرَ لـــــه ... ولا انتحاه عُروةٌ والشَّنَفَـــرَى

ولا جريـرٌ والفرزدق ولا الـ ... أخْطَلُ والراعي النميريُّ استَرَى

والغَزَلُ العُذْرِيُّ لم يُلمِم بـــه ... في وصْفِ عَبلـةَ بشعرِ عَنتــرا

ولا بِه عُروةُ في أقرائـــــه ... في حبِّ عَفراءَ المُحَيَّا عَفَّـــرا

ولا الكُمَيتُ وجميلٌ وكُثيّـــــــــــرٌ ومَن شَعَرَ في أمّ القُـــــرى

وفي الكُناسة وسُوقِ مَرْبِـــدٍ ... وكلِّ مصرٍ قد بدا أو حضـــرا

ولو تَقَرَّيْتَ الحجاز والشـــآ ... مَ والعـراقيْـــن وما تَمصَّـــرا

وطفْتَ في مصرَوفي أندلـسٍ ... والقيـروانِ مَعْشَـراً فمعْشَـــرا

فلن ترى للخلفاءِ مادحـــــاً ... ولا الولاةِ كلِّـــــهم والوُزرا

مَنْ أمَّهُم برجَـزٍ فنـــال مِن ... عطـــائِهم كما ينالُ الشعــرا

فلا أبو تمّامٍ أو قريـــــــعُه أبو عُبـــــادةَ له قد نَشَـــــرا

ولا أبو الطَّيِّب في مُعجِـــزه قَدَّم في القول به أو أَخَّـــــرا

ومُدِح الملوكُ أدهـــاراً فما مِن أحدٍ على قَرِيّه جَـــــرى

فهل أنا فيما زعمتُ صادقٌ ياشيخُ يحـــيى أو أَقمتُ العُذُرا

لو شئتَ قلتَ:ما تركتَ ذِكرَه مثلُ الصبـــاحِ ظـــاهرٌ لمَنْ يرى

فأين منك لو تقصَّيْت المَدَى شعرُ المَـــلاحمِ إذا القِرن انبـــرى

لقِرنِه واستَلَّ من قِـــرابِـــه حســـامَه وفي الخُطَا تَبَخْتَـــــرا

وقال في ارتجازه مِن مِثل مَا قال أبو السِّبْطين يومَ خَيْبَـــــرا

لما دَعا إلى المِصاعِ قِرْنَه: "أنا الذي سمَّتْني أُمّي حَيْـــدرا"

وقال:"لمَّا أن رأيت مُنْكَـرا أجَّجْتُ ناري ودعـوْتُ قَنبَـــرا"

وابنُ رواحـــةَ بيومِ خَندقِ وغيرِه كم فيه عنه أُثِـــــــرا

ومَن تأمّل فُصـولَ سِيـرةٍ لابن هِشـام سَيَـــراه أَوفَـــــرا

وفي الفتوحِ لم يَزَل يُنشِدُه كم بَطَلٍ بين الصفوفِ افتخَـــرا

وكان بين العُرب فنّاً راقيـاً مُسْتَطْرفاً على القريض مُسْتَـرى

يومَ استجَـــادوه وأعلَوْا شَأْوَه فقيل: كلُّ الصيدِ في جَوْف الفَـرا

وعادَ شِعرُ الطَّرْدِ من أشرفِ ما تنافستْ فيه البوادي والقُـــرى

وبات عند أهلِه منتَخَبـــاً لوصفِ صَيدٍ وقنيـــــصٍ يُدَّرَى

ينتاب أسرابَ المَها في بِيدِها ويَنتحي الغِزلانَ في وادي القُرى

وكانت الملوكُ إن تاقتْ له دَعَت لها مُفَضَّلا والأحمَـــــرا

والأصمعِيَّ وأبا عمرو ومَنْ يُدعَـى أبا عُبيدةٍ مُعَمَّـــــرا

ومَن رَوى الأرجازَ عن أعرابها وخالطوهُم في السِّفار والسُّـرى

وكان في البدو له فَطـــاحلٌ قد نافسوا فيه وطاوَلـــوا الذّرى

والأغْلَبُ العِجْلي في أرجازِه ... قد جاء في الوصف بما بَذَّ الوَرى

سَأَله عُمَرُ أن يُنشِـــــدَهُ ... فقال: قد سألتَ خَيراً مُحْضَـرا

وإنمـــا أراد أن يَخْبُـرَهُ ... فوافقَ الخُبْرُ لديْهِ الخَبَـــــرا

وكان قدْ سَنَّ الأراجيزَ الطِّوا ... لَ كالقصـــائد بهن اشتَهـــــرا

والراجزُ العَجّاج في آثـاره ... قد جاء في الأرجاز يقفو الأثــرا

فكان يقفو أثرَ العِجْلـيّ في ... مَيدانه وفي عِنانه جَـــــرى

وجاء مِنه بالتي مطلِعهَـــا ... "قد جَبَر الدينَ الإلهُ جَبَـــرَا"

ورُؤْبَةٌ في "قاتِمِ الأعْمَاقِ خَاوِي" ... قدْ تلا ذاك السبيـــلَ واقْتــرى

فغاصَ في اللُّغَى على مُعْتَاصِها ... فباع منها في الغريب واشتــرى

ولأبي النَّجْمِ أخــي عِجْلٍ بِه ... ما ليس يَشْوُوا شَأوَه مَن شَعَـرا

وكـــان في عهد بني أُمَيَّـةٍ ... مقدَّما في ذاك بين الشُّعَـــــرا

قد جاء ثَالثَ الثلاثةِ الأُلَـــى ... قد ذَلَّلُـــــــوهُ مَوْرِداً وصَدَرا

وكمْ وكمْ من راجزٍ فَحْلٍ وكم ... مِن حادي أيْنقٍ بِه البِيدَ فَـــرى

ممن روى الأرجازَ عَنْ رُواتِها ... أهلِ العِمادِ وتَبَدَّى في البَـــرَى

وسمعَ العرب في أمثالهـا: ... "عند الصباحِ يحمد القومُ السُّرى

وقولَهم: "شكا إليَّ جَمَلي ... طولَ السُّرَى" إذ طالما به سَـرى

وقولَ مَن قال لمُبْدٍ كبْـرَه: ... "أَطْرِقْ كَرى، إنَّ النعامَ في القُرى"

ولم يَزَل والشعراءُ تنتخِـي ... بالحِذق فيهِ فتُثيرُ العِثيـــــرا

فلم تكن بَغدادُ خِلْواً منْه في ... أيامِها حينَ القصيدُ ازدهَـــــرا

فللعتـــاهيّ بِه بَدائـــعٌ ... في الزُّهْدِ حَلَّقَ بها واستَأثَـــــرا

وللنُّـــواسيّ روائِـــعُ بها ... في القنصِ والطِّــراد قد تصَـدَّرا

ولابن مُعْتَزٍّ وحــاذٍ حَذْوَهُ ... من أهل بغدادَ و"سُرَّ من يَــرى"

وابن دُرَيْدٍ صاغ مقصورتَه ففاقَ فيها مَن بَدا أو حَضـــــرا

"ياظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمَهَـا" أعجَز فيها في القريـض مَن دَرى

ولم يكُ الرجَزُ في يوم لَقىً مُسْتَرْذَلاً أو كان نِسْياً في الثــرى

بل زاحَمَ القصيدَ حتى جازَهُ مكـــانةً وصار منهُ أسيَـــــرا

وكان في المغرب أو أندلسٍ منه البديـــعُ أزمناً وأعصُـــــرا

وحازمُ القرطاجنّي بتـونسٍ قد حـــاك مقصورته ما قَصَّـــرا

لكنه قد عُدَّ غيرَ حـــــازِمٍ لِمَا بها قد قَصَدَ "المستَنْصِـــرا"

فعـــابه بذا المكـوديُّ ولم يَعِبْ قـــريضَه الذي قد بَهَـــرا

أما المَكوديُّ فجـــاد صَنعةً وزاد إذ ممدوحُـــــه خيرُ الوَرى

صلى عليه الله ما ليــلٌ دجا وجـاء صُبْحٌ بعده فنوَّرا

وللشمَقْمَقِي ابنِ وَنَّـــان به قـــافيةٌ لِقـــافِها قد كَسَـــــــرا

مُخاطبا حادِيَه :"مهلاً على رِسْلِك حـــــادِي أَيْنُقٍ" تَهَـــوَّرا

وللرباطيّ أبي عَمرو لهَـا أُختٌ تَقَفَّـــى قـــافَها واقتفـــــرا

فجاء بالسهل الذي يأبى على مَن رامَه ولو تَعَنّـــَى واجْتَـــرا

فهذه قلائدُ الأرجـــــاز قد فاقت قلائِدَ الحِســـانِ والبُـــــرَى

فأين منها ما ترانِي ناظما وهل تُسَوّي بالجُمانِ الحَجَرا

ماذا يقول شـاعرٌ إن شعَـرا رأيتَ في بُحـوره مـــا لا يَرى

أنشدتَه مِن نظْمِه مـــا لم يَعُدْ يَذْكُره وَوَدَّ لو تَذكَّـــــــرا

مضيتَ فيه حـــافظاً له كمـا لو كان من آي الكتـــاب سُوَرا

ما بين بحرٍ كـــــاملٍ ووافرٍ ورَمَلٍ ومن بحـــــــور أخرا

وحينما افتَقَدْتَ فيه رَجَـــزا لم تَرَهُ من بينها معتبَـــــــرا

سألْتَنِيهِ وعدَدْتَ مَن جفـــــا عنه كمن أَزرى به واستَحْقَرا

وخِلْتَ أني قد هضمتُ حقَّه هَجْراً وما مِن حقِه أن يُهْجَـرا
فقلتُ: لاعَتْبَ عليَّ إنَّنـــــي قد سُقْتُ عُذْري ظاهرا مفسَّـرا
لما رأيتُ الشعراءَ نظَمُـوا فيه السِّخابَ والحصا والبَعَـرا
هجرتُه هِجرانَ قالٍ أوْ فقُل هِجرانَ زاهدٍ به مستصْغِـــرا
والآن قد صالحْتُه من أجلِ مَن شَفَعَ فيه راغبـاً ومؤثـــرا

+ + +

قل لأبي عبد الرحيم المرتضَى طِبتَ حِلالاً في سلا ومَحضَـرا
أهلاً بنا وبك في وادي سـلا مَنْ حَلَّ واديـه سـلا عمن ورا
قد صار ما أمَّلتَ أمراً واقعـاً حقّا وما كان حديثـا يُفتـرى
مِن فاضلٍ مِن مَطلَعِ الشمسِ سرى ليلاً وفي صبـاحه تمصَّـرا
أتى سلاً فلم يَكَدْ يثوي بهـا حتى سلاَ عن كل رَبْع عَمَّـرا
ذاق نَميرَ نـهْرهـا فلم يَعُدْ يَشفي صَداهُ غيرُ ما منه جَرى
ولا يلَذُّ مطعَما في غيرهـا أو نَسْمَةً يشْتَمُّهـا أو بِكَـرَى
فمرحباً بك حَلَلْتَ مَنـزلاً سهلاً ففـاحَ مَنْدَلا وعِنبَـرا
ولا تَزَلْ واليُمنُ في أكنافـه والأمْنُ والأمانُ موصولُ العُرى
يا شيخُ يحيى فَخْرَ فيفاءَ الذي به تُبـاهي وتتيـهُ مَفخَـرا
لِيَهْنِكَ الفرْعُ الذي تُعْزَى له منك الأصولُ الراسخاتُ في الثَّرى
والمنتمِى في خير ما أُرومةٍ في الجِذْم من قَحطانَ آسادِ الشَّرَى
مِن بِطْنِ خُولان طَلعتَ ماجداً من مـاجِدين فُضـلاءَ كُبَـرا
مِن يَحْصُبٍ ويَشْجُبٍ ويَعْرُبٍ وذي رُعَيْنٍ وملـوكِ حِمْيـَرا
وكان منهم للنبي المصطفى مِن صحبِه الأنْصارُ خيرُ النُّصَـرا
فاهْنأْ فقد جمعتَ مجدا طارفاً إلى تليدٍ حُزتَ منه الجَوْهـرا

ثم هنيـئا يا ابنَ أسعد بمـــا حَلَلْت في سَلا وطِبتَ عُمُـــــرا

قد شَمَخَتْ بِك سَلا إذ صِرْت من أعلامها ومَن لها قد عَمَـــــرا

وزدتَ فخراً ومَقــاماً بالذي أحْرَزْتَ من مَشيخةٍ ومُقْتَـــرى

وصار مِن حَقِّ العُلا أن تَحْتَفي بما ازْدَهَى به الحِمَى وازدَهَـرَا

لدُنْ حَلَلْتَ في الديارِ طالبـاً فكُنتَ بدراً طـــالعاً وقَمَـــــرا

وصِرْتَ في أوَّل مَن نَعُـدُّهُ إذا عَدَدنا مَنْ عَلى الشيخ قــرا

أعني السحــابيَّ الجليلَ مَن به نَوَّهْتَ في المشرق حتى اشتهـــرا

فَأكْبَرُ الفضل إليكَ يَنتَهــي وكان فَضْلُه عليك الأكبَـــــرا

بما عن السبعةِ من قراءة رَوَّاكَ ثُمَّ زادَها فَعَشَّـــــــرا

صُغْرى وكُبْرى والتي لنافــع مِنْ طُرْقِ تعريفٍ وتفصيـــلٍ دَرَى

حتى تَمَلَّأْتَ بما أسندْتَـــهُ عنه وكُنْتَ الفائزَ المُظَفَّـــــرا

+ + +

خُذْها أبا عبد الرحيم روضةً غَنَّاءَ راقَ زَهْرُهـــــــا ونَوَّرا

أو كعَرُوسٍ بَرَزَتْ مِن بعدما ظَلَّتْ يُواريها الحجابُ أشهُـــرا

جَلَوْتُها عليك في مِنَصَّـــــةٍ لُفَّت حَياءً وجْهَها أنْ تُبْصَـــرا

ما ضَرَّها أن لم يكن مُنْشِئُها يُدعَى أبا النَّجْمِ أو القَبعْـثَـــرى

أو لم تكنْ في نفح طِيب أو مَقـا ماتِ الحريري أو لَدَى زَمَخْشَرا

أنت الذي جَشَّمْتَنيــها فلتكنْ عيْنُ الرضا تُغمِضُ عمـــا كَدَرا

وإن تَكُ الأخرى فتلك مُكْنَتي ولا يُلامُ مَن أتـــــى مـــا قَدَرا

ما قلته فيك حَرٍ أن يُزْبَـــرا بالذهبِ الإبريزِ ثم يُنشـــــــرا

للصدق فيه والوفاء مَوْضِعٌ ما كان يَخْفى خَبَرا ومَخبَـــــرا

كمْ ليَ مِن قافيةٍ حَبَّرْتُهـــا فكدتُ أستوْعِبُ فيها الأَبْحُـــرا

كمْ وافِرٍ كمْ كاملٍ كمْ رَمَلٍ كمْ مِن خَفِيفٍ وبَسيطٍ سُطِرا

كم قلتُ في فيفاءَ من قصيدةٍ عصماءَ فيهن البهاءُ بَهَـــــرا

لكنني من غير قصدٍ لم أصُغ في رَجَزٍ أو هَزَجٍ كما تَـــــرى

فخُذْ إليكَ هـــذِه يَتِيمـــــــةً رَقَّتْ وَراقَتْ في رَوِيّ حرفِ رَا

ولا تَسُمْني بعدَها في رَجَــزٍ فَلسْتُ أمتَطي حمارَ الشُّعـــــرا

د. عبد الهادي حميتو

سلا : فاتح رمضان المعظم 1437هـ

الموافق 7 يونيو 2016 م